جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الانثروبولوجيا د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الاثنولوجيا

المحاضرة الحادية عشر: مفهومها ، اهتماماتها وظروف نشأتها

مقدمة:

ان اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الانسانية كلها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطقا أساسيا في فلسفة علم الأنثروبولوجيا واهدافها. ولكن على الرغم من التوسع في مجال الدراسات الانثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأثروبولوجيا ، ولا سيما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات ، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ ، تؤكد ولا شك، تفرد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى.

ومن هنا كانت أهمية الدراسات الانثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية ، وايجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيدا عن التعصب والأحكام المسبقة التي تستند الى أية أصول علمية.

مفهوم الاثنولوجيا:

هي العلم الذي يدرس الأعراف والسلالات البشرية وهي التي تقصد الاثنيات الاجتماعية وهي جمعيات اجتماعية تشترك في أنماط ثقافية وسلوكية مما يدفع الأفراد الى احترامها وممارستها [1]او علم الثقافات المقارن: فموضوعها الأساسي هو الثقافة .أي أنها تركز على دراسة اما الاثنولوجيا سلوك الإنسان أينما وجد. وهى تهدف إلى تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان.

ان كلمة الاثنولوجيا ذات اصل يوناني Ethnos بمعنى دراسة الشعوب ولذلك فهي تدرس خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية أي دراسة الصفات والخصائص المميزة لأجناس الإنسان من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة بين البشر وكذلك العلاقات القائمة التي تربط بين الأجناس[2].

هي الدراسة التحليلية والمقارنة للثقافات أو الشعوب ، تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها، كما عرفها علم الاثنولوجيا السوفييتية أو الأوروبية . وقد عرف كروبر ميدان دراسة الاثنولوجيا بانه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا.

بينما ميز رادكليف براون الاثنولوجيا التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب ، عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الانثروبولوجيا الاجتماعية.

---

[1] د.جوهري ، علياءشكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ص19-20

[2] أزهري مصطفى صادق على، الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية (علم الإنسان الطبيعي والثقافي).، مرجع سابق، ص 2

اهتمامات الاثنولوجيا:

يستخدم مصطلح الاثنولوجيا بدلا من مصطلح الانثروبولوجيا في العديد من الدول الأوروبية، وخاصة دول شرق أوروبا، حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك علم لدراسة الانسان بدون الدراسة التاريخية المقارنة للشعوب، وهكذا تجمع الاثنولوجيا بين الدراسة التاريخية و الدراسة الميدانية للثقافات الجماهيرية – والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.[3]

اذن، هي الدراسة المقارنة للثقافات المعاصرة والثقافات التي تتوفر عنها وثائق تاريخية (تجميع وترتيب وتنظيم البيانات الاثنوغرافية) وهذه الدراسة المقارنة قد تكون في الزمان أو المكان، أي انّ عملية المقارنة قد تكون تتبعية ''تاريخية'' أو تزامنية ''معاصرة'' بتعبير البنيويين، بحيث أننا نحصل على مجموعة أو عدد كبير من الملفات الخاصة بحياة الشعوب والمجتمعات نقوم بتنظيمها وتجميعها وإظهار التمايزات أو المفارقات بينها، ثم تبدأ بعد ذلك عملية التحليل والتنظير وهنا فقط تشرع الانثروبولوجيا وتبدأ حيث تنتهي الاثنولوجيا.

انها أيضا، دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطوّرها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلاً تاريخياً ، فتعدّ الأثنولوجيا فرعاً من الأنثروبولوجيا، وتختصّ بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات البشرية، والأصول

---

[3] **شارلوت** سيمور – شميث، **موسوعة علم الإنسان** ، المفاهيم **والمصطلحات** الأنثروبولوجية، **مرجع سابق، ص** 37

الأولى للإنسان، ويدخل في ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها، ودراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة.

الاثنولوجيا والاثنوية:

اذا كان علم الانثروبولوجيا ، بدراساته المختلفة ، قد استطاع أن ينجح في اثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الانسان وطبيعته ، ومراحل تطوره الثقافي / الحضاري ، فان أهم ما أثبته هو، أن الشعوب البشرية بأجناسها المتعددة، تتشابه الى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية .[4]

أما على المستوى الحضاري والثقافي ، فالاثنولوجيا هي نفسها شأن حضاري، تقليد عريق ينتقل من جيل الى آخر. وهي لذلك جديرة بتحليل اجتماعي وتاريخي يبين ركائزها الأساسية ، اذ لا تمارس الدراسة الاثنولوجية ضمن مجتمع أو من باحث فردي ، الا من اللحظة التي يلغي فيها هؤلاء المقاومة التي يبدونها لسماع الآخر أو لاعتباره.

هذه المقاومة هي سمة عالية، وهي تحمل اسم التمركز الاثني أو الاثنوية. ولفهم أعمق لا بد من الوقوف على أهمية هذا المصطلح وشرحه بالتفصيل، كونه مشتق من أول جزء يؤسس لفظ اثنولوجيا.

الاثنوية:

[4] عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان(الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص17

تقسّم البشرية السلالات عضوية دون حدود واضحة وهي تقسم بدورها الى مجموعات اثنية، جغرافية، قومية تمتلك حضارات مختلفة وتنقسم هي الاخرى الى تجمعات تتميز عن بعضها بالقرابة والمسكن والمعتقدات والطقوس.

ان البشر بطبيعتهم يتّصفون بالكلام، ولكنهم لا يتكلمون جميعا نفس اللغة وتنوعهم الطبعي والثقافي يجعلهم عرضة لاختلافات كثيرة . ينسجم أعضاء كل من تلك المجموعات فيما بينهم ومع المجتمع الذي ينتمون اليه.

وما يضمن هذا الالتزام هو الالتزام بقوانين المجموعة ، حتى وان لم يكن كاملا، اذ يفترض المخلون منحرفين. والمجتمع الذي لا يتوصل الى اقامة حد أدنى من التفاهم بين أعضائه عاجز عن الاستمرار.

من جهة أخرى، فان التشابه والترابط بين المجتمعات المختلفة لا يتم بصورة تلقائية. فالتوحد بين الخصوصيات المختلفة ليس من طبع البشر، بينما يشكل الاختلاف الاجتماعي والثقافي سببا دائما للخلاف لكونه غير مستساغ.

والمجموعات المتنافرة لا تنظر الى خصومها كبشر، وانما كحيوانات أو ما دون مستوى البشر أو برابرة او غرباء. هكذا يصبح من الممكن ، ومن المرغوب أيضا أن يمارس عليهم ما يخطر فعله مع أعضاء المجموعة بسبب رابطة التضامن : التنكيل والتعذيب والقتل والتشنيع والاستعباد والابادة والتطهير العرقي.

ولا يكمن للمسيرة الاثنولوجية ان تبدأ الا عند اللحظة التي ينظر فيها الانسان الى حضارته على انها خاصة، أي عند اللحظة التي يتوقف فيها عن اعتبار الأخر بربريا. في تلك اللحظة ، نكون قد وصلنا، دون شك، الى حوار الحضارات. ويجب عدم الخلط بين الاثنوية والعنصرية .

فالعنصرية تقضي:

- ✓ باعتبار أنه توجد اعراق مختلفة
- ✓ و بأن بعض الأعراق أدنى من الأخرى (أخلاقيا وفكريا وتقنيا)
- ✓ و بأن تلك الدونية ليست اجتماعية او ثقافية (أي مكتسبة) ، بل هي فطرية وحتمية من الناحية العضوية.

من ناحية ثانية، تقتضي الاثنوية اعتبار الحضارة الخاصة والقوانين الاجتماعية الخاصة (الموضوعة ثم المكتسبة) أعلى من كل الاخريات. [5] وتبقى صورة "الآخر" التي أصبحت تؤخذ من منطلقين اثنين أو من وجهين :

- الوجه الاول: وجه الحكيم القديم
- الوجه الثاني: وجه المتوحش.

والاثنان ألقيا بظلهما على الغرب ودفعاه الى نظرة نقدية والى اعادة النظر بمراجعه الثقافية، حيث قدم له الاول الحكمة العميقة للعقل الفلسفي ويسّر له الآخر التعرف على البراءة الطبيعية.[6]

[5] فيليب لابورت- **تولارا جان**- بيار فارنييه، اثنولوجيا أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ص19-20

[6]المرجع نفسه، ص 22